"الأمناء" تنشر مختارات من كتاب (الإرهاب أوروبي المولد أمريكي التهجين) لمؤلفه أ.د. علوي عمر مبلغ (الحلقة 4 – 4)

يجب إعادة قراءة مضامين الخطاب الديني الإسلامي و صيرورته التاريخية والواقعية أيضا

استهلالة :

على مدى أربع حلقات متتالية تُفرد صحيفة "الأمناء" حيزاً لتناول ملخصات هامة من كتاب الأستاذ الدكتور/ علوي عمر مبلغ عميد كلية الآداب بجامعة عدن المسمى بـ " الإرهاب أوروبي المولد.. أمريكي التهجين " ,وفي هذه الحلقة الرابعة والأخيرة نتناول موضوع الخطاب الديني والإرهاب , وشروط الخطاب النقدي الجديد ,و أمريكا الغرب و الإسلام علاقة التصادم أم الحوار؟! وغيرها من المواضيع الأخرى .

الخطاب الديني والإرهاب :

في ظل سياق التردّي الاجتماعي دخل الفكر حقبة الغزالي وارتبك الموقف من المعرفة كما تجلى في " تهافت الفلاسفة " وراج لون طافح من التصوّف فانحسرت الرؤية العقلانية وبخاصة مع صمود تيار المدرسة النصية.

أننا بحاجة ملحة وماسة إلى خطاب نقدي عربي جديد وقبل الشروع في تحديد معالم المشروع النقدي الجديد , وجدير بنا الانتباه إلى جملة من الوقائع التي بمنزلة المسلمات التي يجب أخذها بعين الحسبان في عملية التأسيس الجدية ، ونذكر منها على سبيل المثال :

الأولى : أن الثقافة الغربية الحديثة التي هي في حقيقتها ثمرة ثقافات وطنية متعددة شرقية وغربية أصبحت ثقافة عالمية لا يمكن تجاهلها أو العيش خارجها ، وهي ثقافة يمكن وصفها بثقافة القوة والاقتدار .

الثانية : أن علاقات الغرب الأوروبي بالمشرق العربي بصرف النظر عن أشكالها وأدوارها وتطوراتها أصبحت علاقات تاريخية لا انفكاك لها بين عالمين متجاورين على الرغم من فترات التوتر التي رافقتها والمآسي الكبيرة التي تمخضت عنها .

الثالثة : إن التمسك بعنجهية بالأصالة والتراث وأمجاد الماضي التليد والسلف الصالح , دون نظر نقدي جدي إلى التراث الديني والفكري والسياسي لا يفيدنا شيئاً كما لا يغير الغرب في المقابل مهما بلغ من قوة واقتدار النظر إلينا تارة كإرهابيين يهددون السلام العالمي وطوراً كأصحاب ثروات كبيرة نبدده في غير الصالح الإنساني.

شروط الخطاب النقدي الجديد :

والآن كيف السبيل إلى الخروج من التبعية إلى الاستقلال؟! ، وما هي شروط الخطاب النقدي الجديد الذي نحتاجه في مرحلة الانتقال هذه؟ وما دور المثقفين الحقيقيين في هذه المرحلة بالذات ؟

ترى د/ فهيمة شرف الدين : " إن النظر في سمات هذا العصر لابد أن يتم من زاويتين :

الأولى : هي (العولمة) حيث نبني في أفقها ومعها مجموعة من المعايير والقيم وأنماط السلوك الثقافية التي تشكل الإطار الفعلي للرؤى الجدية للعالم.

الثانية : هي (الخصوصية) حيث نبني في أفقها ومعها مواقف الدفاع عن الذات والرفض مع كل ما تحمله هذه المواقف من إشكاليات تتعلق بتحديد أوليات الدفاع وأشكالها وتحديد مساحات الرفض وكيفيات صياغة الأهداف.

وعليه فإن شروط قيام خطاب نقدي جديد تتركز حول الإشكاليات التالية :

تحديد الإشكاليات الحقيقية المنبثقة من الواقع ، واقعنا نحن كمشكلة التجزئة السياسية و الاستيطان , والأصولية , الدينية والتخلف الاقتصادي والثقافي , ومعالجتها بالأساليب ، والإقلاع عن تناول موضوعات تعكس قضايا المجتمع الغربي المعاصر أكثر مما تعكس واقع مجتمعنا العربي المعاصر .

وليس المقصود من هذه الدعوة رفض الفكر الغربي الحديث ، بل التأكيد على ضرورة خلق موقع مستقل عنه حينما ننصرف إلى مجابهة قضايانا الاجتماعية والفكرية المختلفة كل الاختلاف عن قضاياه ، فإذا كان الخطاب النقدي السائد في الغرب اليوم يدور حول قضايا وإشكاليات ما اتفق على تسميتها بمرحلة ما بعد الحداثة ويمثل نزعة تشكك في كل شيء بدءاً بالتراث الفكري الأوروبي ووصولاً إلى الحضارة الغربية قائمة بكليتها .

الأسس والقواعد للخطاب الديني الإسلامي المعاصر:

ولذا فقد بات من الملح اليوم إعادة قراءة مضامين الخطاب الديني الإسلامي وإعادة قراءة صيرورته التاريخية والواقعية أيضاً , وإعادة بعث نوعية جيدة من الخطاب العالمي الكامن أساساً في بنية الخطاب الديني الإسلامي وحتى يستطيع الخطاب الديني الإسلامي المعاصر تخطي عقبات القراءة التقليدية والماضوية لمضامينه يجب أن يتحصن بالأسس والقواعد المنهجية التالية :

1) الفهم العميق والدقيق لمضامين ومكونات الخطاب الديني الإسلامي في بعدي المقدس والاجتهادي .

وإذا كان الخطاب الديني المعاصر الموجه إلى المسلمين لم يتمكن من النهوض بالأمة وبناء الإنسان وإثراء الفكر وتصحيح العلاقة بين الحاكم والمحكوم بأنه قد عجز في مخاطبة غير المسلمين باللغة التي يفهمونها والأسلوب الأقدر على إقناعهم فأتمر ذلك سوء فهم لمعطيات هذا الدين وسماحته .

وانعكست الحقائق ليصبح الإسلام في المنظور الدولي دين إرهاب وسفك دماء واعتداء على الحريات وقهر وقمع لحريات وحقوق الإنسان .

ويرجع ذلك إلى كثير من الأسباب ومن أهمها عدم قدرتنا على تأهيل دُعاه قادرين على التعامل مع العقلية غير المسلمة ، ولعل ما يثير الدهشة أن نرى عدداً من هؤلاء الدعاة يخاطبون الآخرين من غير المسلمين بالحجج القرآنية والنهج النبوي الشريف متناسين أن هؤلاء لا يؤمنون أصلاً بالكتاب والسنة ولا يقتنعون إلا بالأدلة المادية والحجج والبراهين العقلية والأمثلة الحياتية وذلك بأسلوب هادئ بعيداً عن الصراخ والصياح ، ولعل أبرز ما يجب أن يميز الخطاب الديني الإسلامي هو ربطه بالعقل واحترامه له ، وفي ضوء هذه الحقيقة:

2) الفهم العميق والدقيق لمضامين ومكونات الخطاب الديني الإسلامي في بعدية المحلي والعالمي وحدودها الفاصلة بينه وتوجها وتأثيراً .

3) الفهم العميق والدقيق لمكونات الخطاب الديني الإسلامي في إطار سياقه التاريخي التجريبي .

4) عدم إهمال التراكمات الإنسانية الحضارية الأفقية والعمودية وفي جانبيها العلمي المعرفي الفلسفي والثقافي الفكري والتطبيق التكنولوجي

إن ربط فكرة الإرهاب بالمسلمين نشأت للأسف في بعض البلاد الإسلامية في غمرة محاربتها لبعض الغلاة أو المتطرفين أن تطلق عليهم مساهم الحقيقي كمجرمين أو معتدين أو منحرفين وإنما أطلقت عليهم لفظ (الإرهابين) ولم تطلقه سوى على الجماعات التي تحارب باسم الدين أو باسم فكرة معينة ظاهرها الذود عن الإسلام وباطنها الوصول إلى سدة السلطة أو تحقيق بعض المآرب الشخصية أو الطائفية أو غيرها من الأغراض غير المشروعة – أحياناً وبوسائل لا يقبلها الإسلام لأنها تسيء إليه – ومن هذا المنظور كم نحن بحاجة إلى مرجعية دينية واحدة غير متعددة ولا يستوعبها التناقض والاختلاف , هل يستطيع اليوم المسلمون في عالمنا توحيد هذه المرجعية ؟ وعدم القدرة على الإجابة لهذا السؤال هو ما جعل الآخر يتهم الإسلام بالإرهاب ! .

إن الصورة النمطية البشعة للإسلام في المتخيل الغربي هي بمثابة حيلة من حيل الشعور بالذنب تجاه أبشع صور الإرهاب والإبادة التي قام بها ضد المستعمرات . إن الغرب السياسي يملك كل وسائل الخداع ولكن المهم أن الغرب يبدأ موقفه العادي حيث يبدأ موقف الصمود وهذه هي مشكلتهم مع الإسلام .

إنها بالأحرى ليست معركة علمانية ضد الإسلام بل هي حركة بين العلمانية التاريخية القائمة على دعم التقشفية والإلهام البروتستانتي ، بالمفهوم الغيبي نسبة إلى ماكس فيبر وبين علمانية الإسلام التي وضعتهم في موقع حرج .

لقد استطاعت الحضارة العربية الإسلامية وهي حضارة روحية أن تتجاوز مادياً الحضارة الرومانية واليونانية وغيرهما وهي حضارات مادية .

إننا مع الحوار حتى النخاع ولكننا نرفض الاستباحة .

إن الإسلام لا يقر التطرف ولا العنف ولا الإرهاب ذلك لأنه دين سماته الحب والتسامح والعفو بل الدعوة فيه ومن خلاله أن تصل من قطعك وأن تعطي من حرمك وتعفو عن من ظلمك .

الإسلام بريء من التطرف واتهام الناس بالكفر دون وجه حق :

إن التطرف واتهام الناس بالكفر والفسوق زوراً وبهتاناً لا علاقة له بالإسلام عملاً بقولة تعالى : ((وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا))

إن الإسلام يحث أتباعه على أن تسود حياتهم المحبة والأخوة وعلّم المسلم أن يتحدث إلى إخوانه المسلمين بقلب مفتوح وصدر واسع وإخلاص .

ولنا في رسول لله صل الله عليه وسلم الأسوة الحسنة نجدها في سلوكه وعبادته ومعاملاته على مر حياته المشرقة , قال تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)) ...

أمريكا الغرب و الإسلام.. علاقة التصادم أم الحوار؟

إن شرط ازدهار أي حضاري مرتبط بمدى قدرتها على التفاعل مع معطيات الحضارات الأخرى ومكوناتها وبالتالي الاعتراف بهذه الحضارات و محاورتها و قبول تعددية الثقافات وتفهم مفاهيم و تقاليد الآخرين , و الحضارات الإسلامية منذ نشوئها وتكونها لم تخرج على هذا الإطار , وبدأت العمليات التفاعل بينها وبين الحضارات الفارسية و الهندية والأوربية الغربية , الذي لم يتوقع أن يقتل مواطنون غربيون من أصول إسلامية و عربية لجرائم لم يرتكبوها .

هو أن أمريكا تفتكر في مصلحتها في نقطة الصراع وتتم ذلك بين دائرتين :

الأولى : علينا أن نعترف بحاجة الغرب حيوية للأخذ بأسباب التقدم العلمي المادي.

الثانية : أن الحرية و السياسة و الاجتماعية في الغرب تمنحنا ساحة واسعة لحركة الدعوى إلى الإسلام فيه.

الإعلام و الإرهاب :

ما دام الإرهاب إذن يسعى إلى نشر الذعر و الخوف , ما دام في الأصل أعمالا موجهة إلى النفوس والعقول أكثر ما هو موجه إلى الأجساد والمنشآت و الأدوات ، مادام هو وسيلة لنشر قضية ما بإلحاح ، فإن عمليتي الإفشاء والذعر و نشر القضية تعتمدان على أمرين وهم في قدرة وسائل الإعلام على نشر الحدث وإذاعته ، حيث تتوافق فاعلية الإرهاب توافقاً طرياً مع قدرة وسائل الإعلام و رغبة وسائل الإعلام في نشر الحدث الإرهابي ، فكلما زادت تلك الرغبة حظيت الأحداث الإرهابية بالاهتمام وتصدرت الأخبار في وسائل الإعلام.

إن الذي يحزن العرب المسلمين في أمريكا في التعامل الولايات المتحدة الأمريكية مع شعوب العرب و قضاياه وهذا العمى الإعلامي المنجرف وراء التضليل الصهيوني , وهناك حركات التحرير المجاهدة الفلسطينية ووضع حد له بين الشرعية الدولية في فلسطين و كشمير و الشيشان , وبين الحق بين الشعوب في المقاومة الاحتلال ووضع حد للظلم و القهر , بدلا من إنتاج سياسيات تعيين حركات التحرير و التقدير المصير لشعوب تعاني الأمرين من العدوان و القهر.

الإرهاب و التحديات العربية و الإسلامية الراهنة :

يتعرض العالم العربي اليوم , كما تتعرض شعوب العالم أجمع لمناخ حضاري عام يرتدي صفة العالمية و تنبثق عنه مشكلات و قضايا تطرح نفسها كتحديات حضارية تغييرية , و لكنها تنحو منحيين ينطوي الواحد منهما على نقيض الآخر.

فالتحديات الحضارية من هذا الوجه تتجلى بثلاثة مظاهر متشابكة وأحيانا متماهية بحيث يكون الواحد منها نتيجة للاثنين الآخرين و سبباً لهما في الوقت نفسه , فالمظهر الأول هو سلوك الهيمنة و النفوذ من قبل الدول الماسكة القرار بشكل تراتبي ,

الإرهاب في التاريخ القديم لم يكن له قدر من الخطورة يتناسب مع ما له من دور و خطورة في الوقت الحالي

و بالتالي إمكانياتها على الاستجابة طوعا أو مواجهة أو رفضا معانا أو انعزالا وتقوقعا من جهة أخرى , مما يجعل الأضعف خاضعاً لنفوذ القوى و الهيمنة على السياسة الدالية والخارجية معا فيحصل من جراء ذلك أن تتحول ثروات الشعوب الضعيفة إلى يد الشعوب القوية .

و المظهر الثاني : هو سياسة القوة أنه مرادف للمظهر الأول ورديف له ، فالدول الماسكة للقرار تفرض نفسها حكماً و شرطياً في لعبة الأمم التي تكون هي نفسها , و تفرض إرادتها و نظامها الدولي الجديد على الأول و الشعوب كافة .

المظهر الثالث:الذي يتجلى في التحديات الصادرة عن الوضعية الحضارية العالمية الراهنة ، يمكن بعد سقوط الاتحاد السوفيتي و انهيار جدار برلين , وسوف تكون الإنسانية بحاجة يوما ما إلى بدء تاريخ جديد لعقد اجتماعي جديد.